إيضاح وتعليق

بحث في الرمزية

للأستاذ زكي طليمات

مفتش التمثيل بوزارة المعارف

نشر الأستاذ الدكتور بشر فارس تعليقاً ضافياً في المذهب الرمزي نشرته الرسالة في عددها رقم ٢٥١ جاء تكملة لبحثه القيم الذي صدر به روايته « مفرق الطريق »

والحديث في الرمزية شيء يطول ، فلا تخلو مطالعته في مجلة تحرص على أن تقدم لقرائها نبعة من كل ينبوع

بيد أنه يعنيني من تعليق الأستاذ شيئان لهما اتصال وثيق بما سبق أن نشرته عن الرمزية في هذه المجلة منذ ثلاثة أسابيع ..

الأمر الأول هو ابتهاج الدكتور بشر بأن يراني أعمد إلى بعض تراكيب جرت في توطئة مسرحيته المذكورة في التعبير عن معان وألوان في الرمزية . وهأنذا أبادر بتسجيل ما يزيد في ابتهاج الأستاذ الدكتور ، بل ويبعث زهوه ، فأصرح بأنني حقاً عمدت إلى اقتباس تركيبين أو ثلاثة تراكيب وجدت فيها التعبير الكامل عن خلجات وآراء كانت تجول في نفسي منذ أن كنت أدرس الرمزية في الاخراج والتمثيل في معاهد أوربا . ولا يسعني إلا أن أهنئ الأستاذ الدكتور على توفيقه في إيجاد هذه التراكيب وإطلاقها حية قوية تنبض بالمعنى البكر ، وتشق طريقها بين التراكيب الفنية والأدبية لتستقر في صلب اللغة العربية

أما الأمر الثاني ، فالتباس عرض للأستاذ الدكتور حينما أردت أن أفرق بين طبع الدكتور فارس وطبع غيره ممن عالجوا الرمزية من قريب أو من بعيد ، فأجريت في مقالي الثاني ما نصه: « فبشر فارس وتوفيق الحكيم يغترفان من مصدر واحد ، الأول يكتب متشبثاً بما تلقنه ... »

ولا يسعني أن أعلق على هذا قبل أن أبدي عجبي من ذلك الالتباس الذي خالط ذهن الدكتور ؛ إذ المعنى جلي واضح العبارة ، يزيده إيضاحاً ما أوردته في صلب ذلك المقال ، وفي نقدي السابق لمسرحيته « مفرق الطريق » الذي نشرته الرسالة قبل بحثي في الرمزية .

قلت : إن بشر فارس وغيره من الكتاب الشرقيين يغترفون من معين واحد ؛ وإذا اغترف كاتب من معين ، فمعناه أنه تلقن مبادئ وأساليب معينة . إلا أن هناك من يكتب وقد أخذ متشبثاً بما تلقنه ، ومن يكتب وقد خالط ما تلقنه خيال طاري

هذا وقد أعطيت الشيطان حقه حينما أنصفت بشر وتوفيق الحكيم بما نصه : « إلا أن لكل منهما طرائقه في التعبير عن رمزيته » فالأستاذان كاتبان مجيدان في الرمزية ، ولكل منهما سحره فيما يكتب ، ولا يضير الاثنين أنهما يصدران عن نبعة واحدة مادامت طرائق كل منهما تحمل طابع شخصية مستقلة

وزيادة في الإيضاح أقول إن منحى بشر فارس في الرمزية هو منحى يقوم على التأثر الدفين تمازجه الوجدانيات والفلسفة ، في حين أن منحى الأستاذ توفيق الحكيم يأخذ سمت السخرية بالعواطف ليدلل على إفلاسها أو ليناقش عابثاً هازئاً بمدركات مجردة ؛ وكانا الرمزيتين لها طلاوتها ، ولها فلسفتها ، ولها أسلوبها في الكشف عن الغامض والمبهم والتائه في لفائف الروح

أما ماذهب إليه الدكتور فارس من أن مسرحيته تستقر في الرمزية المستحدثة Néo-symbolisme فأمر لا يغير شيئاً من منحى مسرحيته ما دامت تصعد إلى الرمزية الأولى التي شرحناها أنا والدكتور بشر . فروايات « إدمون روستان » مثلاً تعتبر من صميم الرومانسية ، وهي مع ذلك من الرومانسية المستحدثة (Néo romantisme) كما يقول النقاد

وما الرمزية إلا خلجة من خلجات النفس خرجت ولها طابع خاص لم يلبث أن خالطته ألوان نفسية جديدة قد تحور من مظاهرها وتبدل من أشكالها ، ولكنها لا تطغى على صميمها ؛ وشأنها في ذلك شأن أية عاطفة بشرية . ولو أردنا أن نحصي الألوان التي داخلت الرمزية منذ نشأتها لتعذر علينا البحث ولأعيانا الأمر ولوقفنا موقف من يريد أن يقسم الشعرة الواحدة من الرأس إلى أربعة أقسام كما يقول الفرنسيون !

يبقى بعد هذا أن أبدي سروري بأنني كنت في طليعة من نوه بمقام مسرحية « مفرق الطريق » وأنا الرجل الذي يشغله